رسالة مفتوحة من كاهن عربي سوري إلى الفرنسيات والفرنسيين

دمشق في 2017/7/14

في هذه الليلة، ليلة 13–14 تموز، هجرني النوم. الساعة الآن الواحدة والنصف. رأيت من واجبي كسوري، أن أخصّكم ببضع كلمات.

قبل قليل، شاهدت مدة نصف ساعة فقط، الحفل الموسيقي الساحر، الذي نقلته محطتكم التلفزيونية (TV5)، والذي دشنت به احتفالات عيدكم الوطني.

أعترف لكم بأن كل من يتاح له أن يشاهد مثل هذا العرض، لا بد له أن يؤخذ بمثل هذا الإنجاز الموسيقي غير المسبوق، على كل صعيد.

إلا أنه لا يسعني، بوصفي إنساناً وحسب، أن أمتنع عن طرح بضعة أسئلة عليكم.

الأول:

ما الذي فعلتموه، خلال العقود الأخيرة، إزاء شعوب لا تحصى، منها شعوب فلسطين ومصر، ولبنان، والعراق، وإيران، والسودان، والصومال، وليبيا، واليمن، وسورية وطني، كي تترجموا في الواقع، الشعار الشهير الذي رفعته ثورة عام 1789، التي تحيون ذكراها: "حرية، مساواة، إخاء"؟

الثاني:

ألا تجدون أن مثل هذا الاستعراض المتمادي بأضوائه وموسيقاه، واعتداده، هو أقرب إلى العهر منه إلى أي شيء آخر، في الوقت الذي تغوص فيه هذه الشعوب عينها، منذ سنوات وسنوات، في الرعب والتشرد، واليأس والإذلال والجوع، والموت، وعلى الأخص في البغض، بسبب من حكوماتكم المختلفة، وكذلك بسبب من حكومات أخرى في غرب لا يمكن وصفه إلا بالمفترس؟

الثالث:

أوَتظنّون في لامبالاتكم المطلقة، أنكم تستطيعون التمتع إلى ما لا نهاية، بمثل هذا الوضع، بفضل ما تظنّونه تفوّقكم المطلق في جميع الميادين، في حين أن مجتمعاتكم كلها تحتوي في طياتها وحواشيها، ملايين من البشر الغاضبين، الذين لم تتيحوا لهم الاندماج في صفوفكم، حتى باتوا يترصدونكم، وقد أرسلتم منهم إلى وطني سورية، مئات الألوف ممّن منحتموهم مسبقاً الغفران والحماية حيال جميع ما كان مطلوباً منهم أن يقترفوا من جرائم؟

أيها الفرنسيات والفرنسيون،

آن لكم أن تتذكروا أن التاريخ لا يرحم، وأنه عرف "إمبراطوريات لا تقهر"، انتهت إلى موت ومهانة...

أوَلم يحن الوقت كي تستيقظوا وتوقظوا معكم جميع شعوب هذا الغرب عينه، كما كانت ثورتكم هذه قد فعلت بالأمس، يوم هزّتهم وأيقظتهم؟

ليتكم تسترجعون أخيراً إنسانيتكم، كي تدعوا أحفاد ضحاياكم الكثيرة، يعيشون في كرامة.

لقد آن لكم أن تكفوا عن الاسترسال في الأوهام.

فغداً، يكون الوقت قد فات.

الأب الياس زحلاوي